بسم الله الرحمن الرحيم

د. محمد مطيع الحافظ

رئيس قسم المصحف الشريف
بدائرة الأوقاف بدبي

الحمد لله الذي أكرم هذه الأمة بالقرآن الكريم، وحفظه إلي يوم الدين من غير تبديل ولا تحريف، ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾.

وأزكى الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

ففي حديث الإمام علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ قال في بيان فضائل القرآن الكريم: "كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، هو الحبل المتين، وهو الذكر الحكيم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم"(١).

(١) رواه الترمذي، رقم ٢٩٠٨؛ والدارمي، رقم ٢٢٦٥.

القرآن العظيم أنزله الله معجزة خالدة، وتكفل بحفظه فكان ذلك في الصدور والسطور، وتواتر نقله أداء؛ تلاوة وتجويداً، وهو متواتر بألفاظه وحروفه وقراءاته ورواياته، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾.

ولقد جهد الصحابة رضوان الله عليهم في حفظه، فتلقوه من رسول الله ﷺ كما تلقاه من سيدنا جبريل عن رب العزة، ونقلوه إلى من بعدهم، وتابع التابعون ذلك، ونهج على نهجهم العلماء والقراء حتى وصل إلينا، متواتراً، وكان للعلماء دراساتهم في كل جانب من جوانبه، ولم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا وشرحوها وبينوها تفسيراً ولغة ونحواً وبلاغة وفقهاً.

كما ذكروا مجمله ومفصله، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، فكان القرآن أعظم كتاب تقوم عليه الدراسات والبحوث، وسيبقى كذلك إلى قيام الساعة.

وكان للنحويين دورهم الكبير وحظهم الأوفر من هذه الدراسات؛ فلم يتركوا آية إلا وذكروا أوجه إعرابها واستشهدوا بها على كل قاعدة نحوية أو لغوية أو بلاغية.

من أكابر هؤلاء العلماء الإمام ابن هشام النحوي صاحب كتاب (مغني اللبيب) الذي قدم للأمة أوجه الإعراب للآيات القرآنية، فكان الغاية في التوجيه والبيان، وأصبح مرجع العلماء حتى عصرنا الحاضر.

ابن هشام واحد من الجم الغفير من العلماء الذين اعتنوا بهذا الاتجاه العلمي لخدمة القرآن الكريم، وهناك آخرون اتجهوا اتجاهات أخرى، ومنها الإعجاز في القرآن، وكان منهم عبد القاهر الجرجاني في كتابيه (دلائل الإعجاز)، و(أسرار البلاغة).

وفي القرن الماضي كان أديب العربية وشيخ أساتذتها مصطفى صادق الرافعي الذي قدم للأمة كتابه (تحت راية القرآن) الذي هو جزء من كتابه تاريخ الأدب العربي، فكان مفخرة من مفاخره الكثيرة في لغة القرآن وآدابها.

وكتاب الله الكريم لا تنتهي عجائبه ولا معجزاته حتى قيام الساعة، علمياً وكونياً وبلاغياً ولغوياً ونحوياً، ولذلك تظهر في كل يوم دراسة جديدة تدل على إعجاز القرآن وبيانه.

ومنذ نزول القرآن تحدى العرب أن يأتوا بمثله، وقد حاول أعداء الله قديماً من المتنبئين، أن يأتوا بمثله، فكانوا سخرية للعرب، وجاء مِنْ بعدِهم من حاول الغمز والطعن والتشويش من المستشرقين وأتباعهم، ولكنهم باؤوا بالفشل، ومثلهم كما قال الأعشى:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ولقد خص الله هذه الأمة بفئة لا تزال قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله.

هذه الفئة أكرمها الله بالعلم والتقوى والفضل، ترشد وتوجه وتعلم، وتدفع افتراءات المبطلين المعاندين، والمكابرين المنافقين، فكانت هذه الفئة التي مدحها سيدنا رسول الله ﷺ.

في هذه الدراسة العلمية الموثقة التي هي بعنوان (تحت راية القرآن، لفتات نحوية) يقدم لنا فضيلة العلامة الشيخ عبد الكريم تتان بياناً واضحاً شافياً مدعوماً بالأدلة الدامغة، ورداً على من سولت له نفسه أن يشكك في الأمور النحوية في القرآن الكريم، وهم من هم؛ لا يعرفون العربية ولا درسوها ولم يصلوا إلى أساليبها، ولم يدرسوا القرآن وبلاغته وطرق بيانه، فضلوا الطريق بأهوائهم، ولكن -والحمد لله- لم يكن لما قالوا

وكتبوا أثر في نفوس الناس؛ عامتهم وخاصتهم، وسرعان ما عرفوا بجهلهم وفساد كتاباتهم.

فجزى الله فضيلة الشيخ عبد الكريم خير الجزاء على عمله هذا المبرور، في هذه الدراسة القيمة الممتعة التي ضمت علماً غزيراً، وفضلاً كبيراً، وتتبعاً لدقائق الأمور العلمية بطريقة منهجية رائدة.أسأل الله أن يكتبها في ميزان حسناته. والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

د. أحمد بن عبد العزيز الحداد

كبير المفتين بأوقاف دبي

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١٨/١] وجعله قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون، قرآناً عربياً لقوم يعلمون.

أحمده حمداً يقصر عنه البيان، وتترجمه الأحاسيس والوجدان، على نعمة القرآن، وعلى أن خلق الإنسان، علمه البيان، أحمده في كل آن، ما تعاقب النيّران، واختلف الملوان، وأصلي وأسلم على سيد ولد عدنان، أفصح من نطق بالضاد، وأكرم مخلوق من العباد، الداعي إلى سبيل الرشاد، سيدنا محمد الهادي إلى السداد، وعلى آله وصحبه السادة الأمجاد، أما **بعد**:

فإن القرآن -كما وصفه الله تعالى- عظيم في لفظه ومبناه، عظيم في دلالته ومعناه، عظيم بعظمة الله تعالى العلي العظيم، فهو كتاب تنقطع دون عظمته العظماء، فلا يسع إنساً ولا جاناً، إلا أن يقول عنه كما قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ١٧/٨٨] بل لا يأتون بعشر سور من مثله، بل لا يأتون بسورة من مثله، طالت أو قصرت، بل لا يأتون بآية من مثله؛ ذلك لأنه كتاب هداية وإعجاز، وحيث كان كذلك

فلا بد أن يكون فوق قدرة الخليقة، فلا يسعها إلا أن تخر له مذعنة كما خر أولو الفصاحة واللسن، الذين نزل القرآن بلسانهم ليتحداهم فأذعنوا، ولو استطاعوا لظفروا بمرادهم من إطفاء نور الله، فكانوا للناس عبرة ومدكراً.. كانوا كذلك يوم أن كان الناس يفهمون اللغة وأسرارها، وقواعدها ومبانيها، فكان منطلق قواعدهم لفظ القرآن ونظمه، فما أصَّله القرآن كان أصلاً، ولم يكن تأصيل القرآن إلا لما هو موجود من اللسان، لأنه نزل بلسان أهله.

وأهل اللسان لم يكن لديهم تحفظ على هذا البيان، ولا تلكؤ في فهمه من نساء أو ولدان، أو شبيبة أو شيبان.. بل وضحوا لذوي الجهالة ما يزيل عنهم غياهيب العماية، بوجوه الأعاريب، وتفنن الأساليب، فلم يبق فيهم ذو فم مر مريض، ولا ذو فهم سقيم، ولم يبق ليل الدجى حالك الظلماء، بل أسفر ببيانه، وأعرب بلسانه.

ومازال من أولئك العرب العرباء، والفصاحة الشهباء، أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض، بمحاولة إفساد اللسان، أما القرآن فدونه خرط القتاد.

وكم قد سمعنا من صيحات بإعادة اللسان العربي إلى مستوى العامة، حتى تنشأ أجيال لا يعرفون مباني القرآن فتفسد عليهم معانيه، وتلك أمانيهم ما هم ببالغيها، ما دام في الأمة مثل الشيخ العلامة عبد الكريم تتان، الذي أكرمه الله تعالى بالعلم والعمل، والدعوة إلى سبيله باللسان والبنان، فبالأمس القريب هدى إلى صحة المعتقد بموسوعته العلمية (شرح جوهرة التوحيد)، واليوم إلى صحة اللسان ببيان بعض وجوه ما أشكل من أعاريب القرآن، الذي أجاد فيه وأفاد، وأتى من أدب العربية بما يثلج الأكباد.

نعم، والله لقد أفصح وألمح، وبين ووضح، بعض ما يحتاج إليه أهل القصور في اللغة، ليكون بيانه نموذجاً لما سواه مما يراد استيضاحه، وكأني به يقول لمن يستشكل بعض وجوه الإعراب:

وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

نعم، إنما يستشكل المرء ما يجهله، ولا ريب أن النحو صعب المنال، تتعثر فيه أقدام الرجال، كما قالوا:

والنحو صعب وبعيد سلَّمُه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

وعلى المرء إذا استشكل شيئاً من وجوه إعراب القرآن ألّا يسرع في كشف عوره للناس، بل يبحث عن وجهه الغائب لديه، ويزداد معرفة ما قد سيق إليه، وذلك بمطالعة هذا الكتاب، الذي يجلو الأبصار، ويفتح مسامع أهل الأذكار، وليتهم نفسه بالقصور، وذلك شأن البشر.

والنجم يستصغر الرائيّ طلعته والعيب في الطرف لا في النجم بالصغر

أجزل الله المثوبة لشيخنا العلامة الفاضل، ونفع به وبكتاباته، ووفقنا وإياه لما يحبه ويرضاه.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

وحرر في التاسع من شهر ربيع الأول ١٤٢٥هـ

الموافق ٢٨نيسان / أبريل ٢٠٠٤ م

بدبي المحروسة

بسم الله الرحمن الرحيم

النبوي محمد الصباغ

إن الحمد لله نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، **وبعد**:

فقد مر على الإنسانية حين من الدهر، وهي تتخبط في ظلام الجهل وتسير في غمرة الأوهام وفوضى الأخلاق واختلاف الأهواء، ثم أراد الله لهذه الإنسانية المعذبة أن تفيق من غفوتها، وتسعد بوحي من السماء، وكانت البداية من مكان قفر حيث الصمت الصامت وزمجرة العواصف، ومن فوق ذلك جلال السماء وروعة الكواكب، والظلمة تلف مكاناً مهيباً فيه وحشة، وجلال وعظمة وجمال (غار حراء).

من هذا المكان وهذا الزمان انطلق موكب النور يمحو ظلام الجهل وظلم الإنسان للإنسان، وانتهى تاريخ وابتدأ تاريخ، فالحكم لله ولرسوله الأمين الذي تحمل أمانة التبليغ عن ربه فكان خير مبلغ، ونعم الرسول، وكان منهجه ومعجزته الكبرى الخالدة القرآن الكريم. نبي أمي، والأمية شرف له، يأتي إليه من ربه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بلسان عربي مبين يتحدى بجزالة ألفاظه، ومتانة أساليبه، وصحة تراكيبه، وجمال تصويره، البلغاء والفصحاء، على أنه قد نزل بلغتهم: "أقرئ الناس بلغة قريش فإنما القرآن قد نزل بلغتهم" ، ويقول الحق تبارك

وتعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٢٩/٤٨-٤٩]، والصحابة من حول رسول الله ﷺ يفهمون القرآن جملة لا تفصيلاً، فالتفصيل غير ميسور لهم، فكانوا يرجعون فيه إلى الرسول ﷺ يبين ويوضح ويفصل. ومضى رسول الله إلى ربه والقرآن ينير القلوب ويثلج الصدور، وقد أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الغمة، فاللهم اجزه عن أمته خير الجزاء.

ومضت أعوام وتطاولت أزمان والأمة العربية شامخة بقرآنها ولغتها، فهي المخزون الثقافي لتراث هذه الأمة وهي هويتها الثقافية، وبها نزل كتابها المقدس، ليجعل منها لغة عالمية مقدسة.

غير أن الصفو لا يدوم، فخرجت أصوات تنادي بجعل الأحرف الغربية بدلاً من الحروف العربية، وبحماية العامية واللهجات المحلية، وكل هذا ليس له إلا هدف واحد وهو إبعاد هذه الأمة عن قرآنها ولغتها، وما زالت الأمة تعاني هذا الخطر الداهم. وفي عصرنا هذا، عصر الانحطاط اللغوي، تبرز فئة ضالة أمرضها الجدل العقيم والجهل المقيم كما أمرض عقولها التقعر والتخيل، فتجاوزت قدرها، وتطاولت على القرآن الكريم وهي عاجزة عن فهم نفسها وروحها وبدنها، فتعرضت لآيات من القرآن الكريم خيل لها جهاراً أنها بعيدة عن الصواب، ومن الغريب أنهم لم يدرسوا اللغة العربية ولم يعرفوا أصولها وتراكيبها وأعاريبها؛ فهل يدركون مثلاً قاعدة قطع التابع عن المتبوع وإفراد التابع بإعراب يخالف إعراب المتبوع، إظهاراً لخصيصة امتاز بها ؟ وهل يدركون علل التقديم والتأخير والتنكير والتعريف والإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث ؟ كل هذا غائب عن أذهانهم، ومع ذلك يتطاولون على كلام له حلاوة وعليه طلاوة، ويعلو ولا يعلى عليه، وجدير بأن يوحد هذه الأمة من أقصاها إلى أقصاها.

والحمد لله الذي هيأ لهذه الأمة من يستطيع أن يرد كيدهم في نحورهم، ويخرس ألسنتهم ويشفي صدور قوم مؤمنين، فقد ورد في الأثر من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليظهره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد ﷺ. وقد فجر هذا التحدي في شيخنا العلامة فضيلة الشيخ عبد الكريم تتان كل طاقاته، فتألق إيمانه وفكره كما تتألق الأفكار العظيمة وقت الأزمات والشدائد، وذلك في دراسته العلمية الموثقة بعنوان (تحت راية القرآن - لفتات نحوية) فأجاد وأفاد، وأتى بما أثلج الأكباد، وفيها جمع الآيات القرآنية التي تعرضت للنقد والتجريح وخيل فيها للجاهل أنها تجري على غير المألوف، وتبعد عن الصواب، فأرجعها إلى أصلها، وردها إلى قاعدتها، يعاونه في ذلك تمكنه من اللغة العربية ومعرفته بطرقها وأساليبها وأعاريبها (وأبناء مكة أدرى بشعابها).

وإني لأرجو الله تعالى أن يمد في عمر شيخنا، حتى يقدم لأمته الإسلامية مزيداً من الوقفات واللفتات مع الكتاب المعجز الذي لاتملك البشرية وحياً سماوياً لم يأته الباطل سواه.

وصدق الله العظيم فهو القائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ١٥/ ٩].

والله من وراء القصد يهدينا سواء السبيل.

القاهرة - كلية اللغة العربية

جامعة الأزهر

المقدمة

الحمد لله الذي علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان، الذي أيد رسوله ﷺ بجوامع الكلم، فجاء في أحاديثه بالروائع، وجعل له من المعجزات الباهرات ما يدل على صدق رسالته، وكان القرآن الكريم هو المنهج والمعجزة معاً، حفظه الله تعالى على مدى الدهر، ليكون المنهج بحفظه محفوظاً كما كان بدلائل إعجازه مؤيداً، والصلاة والسلام على من ملك ناصية البيان فطاوعه فيما أراده مطاوعة السحاب للرياح المزجيات اللواقح يلقي إليها القياد، **وبعد:**

فهذه مجموعة من النصوص القرآنية توخيت الحديث عن مواضع من كل منها، مما يتعلق بالجوانب الإعرابية، إرشاداً لمن أشكلت عليه، ودمغاً لمن صال على كتاب الله تعالى يتلمس ثغرات يظنها، فشن الغارة، وأجلب بخيله ورجله عليها فخاب، فأقول: تعددت أوجه إعجاز القرآن الكريم آخر رسالات الله تعالى إلى البشرية، وقد استمر عطاؤه على أنه حجة للنبي على الناس، وساير هذا العطاء متنوعاً العصور كلها، فقلما يخلو عصر من كشف جديد لمخزونات هذا الكتاب الكريم المجيد، وأذكر بالإعجاز العلمي في عصر المكتشفات العلمية، فكم من دقيقة علمية أو حقيقة كونية سبق بها كتاب الله تعالى، فجاء اكتشاف الناس لها تصديقاً لما جاء به، وتدليلاً على أنه "كلام الله تعالى المنزل" الذي أحاط بكل شيء علماً.

من البدهيات التي لا يختلف فيها أن العصر الذي أنزل فيه القرآن كان عصر بلاغة وارتقاء لغوي بلغ القمة بعد قرون غبرت على لغة العرب، فكان

التحدي به لأصحاب اللسان العربي أن يأتوا بسورة من مثله، ولم يطالبهم (بِمِثْلِهِ) بل ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾، وكانت مواقع التحدي كسياط تلهب النفوس وتستنفرها وتحرض على المعارضة بأساليب متنوعة، وهيهات !! سلموا له في هذا التحدي، فأعلن انتصاره على مدى الدهر، وانتصاره أمام عجز مطبق، وفرغ الزمان كله من لدن عصور البلاغة إلى يومنا هذا عن سورة ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ وإلا فأين هي هذه السورة ؟ أفيما نسب لمسيلمة "يا ضفدع"، أو لسجاح المتنبئة في "أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب" ؟؟!!.

ولما التقى المتنبئان مسيلمة وسجاح، اتفقا على ما هما له أحوج، فقال لها: قومي إلى المخدع، فقد هيئ لك المضجع، فافتضحت عند العقلاء من أتباعها، وقال واحد منهم:

أضحت نبيتنا أنثى يطاف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا
فلعنة الله رب الناس كلهم على سجاح ومن بالإفك أغوانا[1]

أجل، القوم الذين قد تمكنوا من اللغة أعلنوا العجز التام، وسجلوا شهادات للقرآن الكريم بالتفوق والعلو وتحطيم ما دونه. وثبتت الحجية للقرآن على أنه القمة البلاغية التي لا تقترب منها قمة بلاغية أخرى بله أن تماثلها. قال عميد اللغة العربية مصطفى صادق الرافعي: "قد جاء بالإعجاز الأبدي الذي يشهد على الدهر، وشهد الدهر عليه، فما من جهة من الكلام وفنونه إلا وأنت واجد إليها متوجهاً فيه، وما من عصر إلا وهو مقلب صفحة منه حتى لتنتهي الدنيا عند خاتمته فإذا هي خلاء ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾"[2] ويقول: "لا سبيل عليه ليد الزمن وحوادثه مما تبليه أو تستجده، إنما هو روح من أمر الله تعالى؛ هو نزله، وهو يحفظه، وقد قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ١٥/٩]، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ [إبراهيم: ١٤/٤٧]".

---

(١) انظر: صيد الخاطر، ص٤٠٣، ففيه حديث ممتع عن هؤلاء الكذبة.

(٢) آخر آية من كتاب الله المجيد.

وقال: "قطعت بلاغة العرب دون المعارضة، واعتقلتهم عن الكلام فيها. صوّر لهم العجز غالباً لا تنال منه القدرة"، وقال: "استنفرهم قاطبة بل وجمع في قرن الجن والإنس في التحدي، فبدت طباع العرب كأنها غير طباعهم، وهم من كانوا يتساجلون الكلام ويتقارضون الشعر، ويتناقضون في أغراضه ومعانيه، تمكنوا من فصاحة العبارة، لا يغتصبون لفظة، لا يطردون كلمة، لا يتكلفون لتركيب، تؤاتيهم الفطرة، وتمدهم الطبيعة، هؤلاء العرب، ورَدَ عليهم أسلوب القرآن وما فيه، فأذهلهم عن أنفسهم هيبة رائعة وروعة آسرة، وخوفاً تقشعر منه الجلود، وشهد له الأعداء بأنه يعلو ولا يعلى عليه، ويحطم ما دونه، وحسبك شهادة الوليد بن المغيرة فيه، واقتضى ذلك أن كل الأجيال اللاحقة أشد عجزاً في هذا الوجه لأنها دون مستوى من سبقها لغة وبلاغة، ولك أن تحكم بعد ذلك على ما نحن عليه اليوم من قدرة بلاغية !!".

إني لست أعجب -مع هذا- ممن يطرأ على خاطره إشكال في كلمة أو عبارة قرآنية، وإنما العجب ممن اتضح له أمر ما أشكل عليه، ثم يصر على إشكاله، كأنما لم يكن مشكلاً يطلب التوضيح، وإنما كان مشاكساً يأبى أن يقر بالحق بعدما تبين، فهي عنزة -كما قالوا- وإن طارت ! ولست أعجب حتى من هذا ! لأنه لو بقي في سجن إشكاله ودائرة شكوكه لكان ممن قال فيهم الله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤١/ ٤٤]، ولسنا نعدم أمثال هؤلاء الذين ساروا على منهج أسلافهم من أهل الجاهلية الأولى المعاندة الذين قالوا: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ [الإسراء: ١٧/ ٩٣]، وذلك بعدما طلبوا الخوارق وتشهوا وأوغلوا في التشهي دون أدب، ومما طلبوا: أن يرقى في السماء ينظرون إليه، ونفوا استجابتهم إن رأوه !! أما تعجب لهؤلاء الذين يطلبون خارقة، ثم يقولون إنهم لن يقتنعوا بها إذا وقعت ؟!.

هذا ما أمهد به لهذه اللفتات القرآنية في جانبها النحوي التي كانت مثار تشكيك من أناس لا يملكون المؤهلات للحكم على النصوص، أو لا يتصفون بالصدق في طلب معرفة الحق، وأريد بهذا دعوة أولئك الذين حصروا أنفسهم في دائرة التشكيك ليخرجوا إلى رحاب تعرف الصواب، ودرءاً لخطر التشكيك الذي يحمل رايته أعداء الإسلام، أما الحق في نفسه فلا نخاف عليه من أن يمس بذرة لأنه وضع الله تعالى. ولي أن أتساءل: أليس عجباً ألَّا يقول أهل العربية الصافية واللسان الفصيح سجية إن في القرآن خروجاً عن سنن لغتهم، ويأتي اليوم من يغرق في عصر الضعف اللغوي واللحن المتمكن، من يستنشق هواء العجمة حتى امتلأت بها رئتاه ليقول ذلك؟!!.

أليس غريباً أن يتحدى كتاب الله المجتمع كله بشعرائه وخطبائه وبلغائه أن يأتوا بسورة ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ فإذا بهم يعلنون التسليم والعجز، ويخوضون غمار معارك طاحنة، والمعارضة للقرآن -لو قدروا- أهون وأيسر وأحقن للدماء، بل إن ذكر لحن واحد فيه أيسر عليهم من أن يفكروا في المعارضة، أم إنهم لم يقفوا على لحن ما، ووقف عليه ابن عصر الانحطاط اللغوي؟ أم إن الحماقة من وراء مواقف التشكيك النحوي والتعصب زيوتها المؤججة؟ وأنى لمرضى الحماقة أن ينفعهم دواء؟ أجل، إن الحماقة أعيت من يداويها، أليس هؤلاء بحاجة إلى إثمد الإنصاف ليكحلوا به أعين بصائرهم بمراود هذه اللفتات النحوية، لعلهم يرون الحق فيتبعونه ونلهج لهم ولنا بـ: اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه.

وها نحن أولاء نقف على هاتيك المواطن موطناً موطناً نجلي وجوه ما فيها من حقائق وروائع ودلالات.

عبد الكريم تتان

النصوص

١ - ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ٢/ ١٧٧].

٢ - ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ [النساء: ٤/ ١٦٢].

٣- ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج: ٢٢/ ١٩].

٤- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة: ٥/ ٦٩].

٥- ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾﴾ [الشمس: ٩١/ ٥].

٦- ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٦٠].

٧- ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٢٠/ ٦٣].

٨- ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: ٤١/ ١١].

٩- ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٤٩/ ٩].

١٠- ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٥٦].

١١- ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ [المنافقون: ٦٣/ ١٠].

١٢- ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٢١/ ٣].

١٣- ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ١٦/ ٤٠].